مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 14،العدد01 – 2023 / ص ص:209- 222

أزمة معاداة اليهود في الجزائر 1898وتنامي الفكر الانفصالي لدى المستوطنين

The anti-Jewish crisis in Algeria in 1898 and the growing separatist ideology of the settlers

د/ عبد القادر كركار*
جامعة الوادي (الجزائر)، kerkar-abdelkader@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام : 2022/03/17 ؛ تاريخ القبول : 2022/06/12 ؛ تاريخ النشر : 2023/01/31

الملخص

يتطرق موضوع الدراسة الى تنامي النزعة الانفصالية للمجتمع الأوربي الذي نشأ في الجزائر؛ والذي عرف فيما بعد بالأقدام السوداء وكيف كان تجنيس فرنسا لهود البلاد فرصة له لإبراز معارضته لسياسة باريس والتعبير عن ذاته لتحقيق الاستقلالية في تسيير شؤون البلاد، فقد مثل كيان بشري مستوطن غير متجانس وعنصر اثنيا من خليط من الأعراق، تتجدد مع توافد الهجرة خاصة في عهد الجمهورية الثالثة، ومنذ الجيل الثاني أخذ أبناء المستوطنين يختلطون ببعضهم ويتزاوجون فيما بينهم كنوع من الامتزاج العرقي، وقد اخذ هذا الكيان يعبر عن وجوده من خلال رفض المنافسة في حقوق المواطنة الفرنسية التي حصل عليها اليهود الأهالي ما تسبب في وقوع اضطرابات عنيفة أواخر القرن 19عرفت بأزمة معاداة اليهود؛ والتي كانت في الحقيقة ثورة ضائعة أظهر فيها المستوطنون الرغبة في الانفصال عن فرنسا دون أن يكون استقلال كامل، فجاء الاستقلال المالي للجزائر ووضع الميزانية والاقتصاد الجزائري بين أيدي المستوطنين ترضية لهم لكبح النزعة الانفصالية .

الكلمات المفتاحية: المستوطنون ؛ الميزانية ؛ اليهود ؛ كريميو ؛ أزمة

Abstract

The theme of the study deals with the growing separatism of the European society that grew up in Algeria, which was later known as Pieds noirs and how France's naturalization of Jews was an opportunity for him to highlight his opposition to Paris policy and express himself to achieve independence in the conduct of the country's affairs, It was a heterogeneous endemic human entity and an ethnic component of a mixture of races, which was renewed with the influx of migration, especially during the reign of the Third Republic, Since the second generation, settlers have been mixing and mating among themselves as a kind of ethnic mixing, and this entity has been expressing its existence by refusing to compete in the rights of French citizenship obtained by the Jewish, causing violent unrest in the late 19th century, known as the anti-Jewish crisis; Which was in fact a lost revolution in which the settlers showed a desire to secede from France without full independence, so Algeria's financial independence, budgeting and the Algerian economy came into the hands of settlers to satisfy them to curb separatism

Keywords: Settlers ; Budget ; Jews ; Cremieux ; Crisis..

* عبد القادر كركار

مقدمة:

شهدت الجزائر بعد سقوط الدولة في 1830 بداية تدفق هجرات بشرية من اروبا استوطنت البلاد وأصبحت السيد المتحكم في زمام الأمور إدراكا منها لحاجة فرنسا الى وجودها في المنطقة تكريسا للاحتلال بفرض الامر الواقع، فكانت المصلحة متبادلة بين الجهاز الاستعماري وبين المستوطن كوسيلة لتحقيق استعمار الأرض، غير ان المستوطنون بمرور الوقت ضعفت الرابطة التي تجمعهم بالوطن الام خاصة وانهم كانوا من جنسيات متعددة فكان قيام السلطة بتجنيس يهود الجزائر وترقيتهم الى مصاف مواطنين من الدرجة الأولى -خلاف ما كانوا عليه كأهالي يهود - جعل المستوطنين يثورون ضد القرار ويستغلون تلك النقمة لتحقيق مكاسب تجعلهم السادة المطلقين اليد في الجزائر يديرونها لصالحهم، ولا علاقة لفرنسا بهم الا بما يتوافق ومصالحهم، ومن هذا المنطلق نطرح السؤال عن من هم هؤلاء المستوطنون كجماعة ضاغطة، وكيف استثمروا في النقمة المتنامية ضد اليهود لتحقيق مطالبهم الاستقلالية.

1.I- مكونات مجتمع المستوطنين وتطوره

إن الحديث عن المستوطنين الفرنسيين والأوربيين عامة في الجزائر متشعب وواسع، وإن كان يغلب عليه تقريبا طابع واحد وهو الاحتقار من طرف المستوطنين والتوجس من الأهالي (المسلمين واليهود)، وهذا في مرحلة شهدت البلاد ظهور كيان بشري غير متجانس عرف باسم الاقدام السوداء الذين كانوا عنصراً إثنياً جديداً مكوناً من خليط من الأعراق، حيث كان ممثلوه يدعون باسم الجزائريين حتى وإن كان هذا العرق قليل العدد(Houdas, 1886, p 32) من فرنسيين وأوربيين مجنسين وغير مجنسين وهو ما جعل أبناء هؤلاء يشعرون بالدونية أمام الفرنسيين الحقيقين.

ومنذ الايام الأولى للاحتلال الفرنسي بدأت موجات الاستيطان في البلاد، وأخذ المهاجرون يأتون لشراء أملاك السكان المسلمين للمضاربة عليها ثم يعودون الى اوطانهم، بعد ان يكونوا حققوا بعض المكاسب (العقاد، 1993، ص132) وبقي عدد الأوربيين الاجانب دائما معادلاً تقريبا لعدد الفرنسيين، ومع مر الوقت أصبحوا يشكلون قوة فعالة تعاظمت باستمرار حيث تزايدت أعداد الفرنسيين من أصل إسباني على حساب تراجع أعداد الإسبان الذين آثروا الاحتفاظ بجنسيتهم.

ففي سنة 1886م كان الاسبان ولوحدهم بتعداد 92290 نسمة في المنطقة الوهرانية أي أكثر من الفرنسيين الذين كانوا بعدد79667 نسمة بما فيهم الجنود بتعداد 12000 جندي(جوليان،1976،ص58) وبذلك مثلوا كتلة بشرية ذات اغلبية، في حين كان المهاجرون الايطاليون والمالطيون يتمركزون في الشرق الجزائري حيث كان معظم المالطيون تجار ومزارعين، اما الايطاليون فكان أغلبهم من الجنوب الإيطالي وصقلية حيث سطروا على معظم صناعة الصيد البحري(زقب، 2015، ص415) وعليه يبدوا للوهلة الأولى ان احتلال الجزائر في فائدة هذه الجاليات الأوروبية في وقت ان الدولة الفرنسية هي من تدفع ضريبة الاحتلال من أموال وجنود

وعليه فمن اجل احداث توازن بين الفرنسيين وغيرهم تبنت فرنسا سياسة هجرة تراعي فيها هذه التوازنات من خلال عدم توسيع الهجرة لجنسيات أخرى خاصة من إسبان وإيطاليين مع حرمانهم من الامتيازات المخصصة للفرنسيين كمنح الأراضي مجانا ومساعدتهم في الاستيطان وتمويل النقل ورغم ذلك ضلت هجرة الاسبان والطليان أكبر نظرا للازمات التي كانت تمر بها بلدانهم(زقب، 2015، ص413).

وقد احتفظ الاسبان والايطاليين بتقاليدهم الخاصة بل ان تمركز الايطاليين في قسنطينة قرب تونس جعلهم يشعرون بتضامن مع مواطنيهم خارج الجزائر، وبهذا لوحظت عليهم نزعة سياسية انفصالية لم توجد نظيرتها لدى الاسبان في وهران، وإن كان التعليم في المدرسة باللغة الفرنسية ساهم في نسيان لغاتهم وبذلك أصبح هذا الخليط من الاجناس يشكل مع العنصر الفرنسي جماعة لها طابع خاص لا هو بالجزائري ولا بالفرنسي وأصبحت هذه الجماعة تعتقد بأن الجزائر هي وطنها الطبيعي وسموا أنفسهم أحيانا بالجزائريين (العقاد،1993، ص148) على أساس انهم يعيشون في الجزائر المقاطعة الفرنسية وولدوا بها اما اهل البلاد الأصليين فينعتون بالأهالي او المسلمين.

وقد قامت الجمهورية الفرنسية الثالثة بانتهاج سياسة استيطانية معتمدة على توزيع المزيد من الاراضي على الفرنسيين، من اجل احداث توازن بين سكان الريف والمدن خاصة في ظل تزايد عدد الأجانب من غير ذوي الجنسية الفرنسية، حيث يلاحظ الديموغرافي Weiler أن صعوبة حصول الاجانب على الاراضي دفعت بأكثريتهم نحو المدن أين استقروا وكانوا بأعدادهم يزيدون عن المستعمرين الفرنسيين(Stora,1996 , p32) غير ان هاجس تفوق العنصر الأهلي كان يشغل بال المسؤولين ويجعلهم يغضون الطرف عن هذا الامر كانت مسالة الفرنسة تأتي في المقام الثاني بعد أولوية تغليب العنصر الأوربي في البلد.

ولعل الاستيطان الحر في هذا الصدد يعتبر مكمل لهذه الطموحات وقد سهله قانون فارني Warnier لعام 1873 ((قانون المستوطنين)) وكان يهدف الى تفكيك الشيوع وتسهيل إمكانية انتقال قطع أراضي الاهليين الشركاء في الملكية وذلك بحجة إلغاء الملكية المدعى بأنها جماعية (أجيرون، 1982، ص88). فيسهل ابتلاع المساحات الشاسعة من أراضي الاعراش قطعة قطعة كحبات العنب من العنقود.

وقد تزايد عدد الأوروبيين مع هذه التحفيزات فبينما كان السكان الأوروبيين يقدرون بـ 245117 نسمة في سنة 1872م وصلوا 633850 نسمة في إحصاء 1901م وفي 1921 وصلوا 791700 نسمة فقد كان عددهم يزداد بالهجرة والتزاوج وإن كان القادمون الجدد عاشوا سجناء لغتهم، عاداتهم ودينهم حيث يتزوجون في داخل مجموعاتهم العرقية، غير أنه ومنذ الجيل الثاني أخذ أبناء المستوطنون يختلطون (Mayer,1999,p253) ببعضهم ويتزاوجون فيما بينهم كنوع من الامتزاج العرقي وهو ما كان يشجعه بعض النخبة على غرار Felix Dessoliers هذا الدكتور من جامعة باريس والنائب السابق من اليسار الجمهوري 1882م- 1885م الذي كان يطالب بالموازاة لأسباب تجارية الحكم الذاتي للجزائر بالاستناد إلى النموذج الانكليزي في فكرته.

Fusion des races européennes par les mariages croises et ses conséquences politiques 1899 (Renucci, 2010, p31)

وقد لوحظ تزايد حلات الزواج المختلط بين عناصر هذا المجتمع الوليد فقد حصلت 15804 زيجة بين فرنسي وفرنسية، 3925 بين فرنسي وأجنبية و1472 بين فرنسية وأجنبي بين سنتي 1873م إلى 1884م وهذه الزيجات المختلطة كانت مستحسنة بالتوافق، وهذا ما جاء به قانون التجنيس التلقائي، وفي ذلك نجد أحسن مثال ما يورده ريني ماير من نسبة الأعراق في دمه فخليط الشعب الكولنيالي في الجزائر هو كأس من الدم الإسباني وملعقة دم بلجيكي، ومغرف دم كورسيكي، وقدح دم مالطي أو إغريقي لأن هؤلاء هم فرنسيو شمال إفريقيا (Mayer, 1999, p96) حسبه.

وقد دلت الإحصاءات الرسمية على نجاح المسعى لفرنسة المجتمع الاستيطاني حيث أصبحت أكبر نسبة من زيادة سكانه عن طريق الولادات وهو ما يترجمه الجدول التالي

السنوات	بالهجرة	بالولادات	الزيادات
1880-1876	71755	6890	78645
1885-1881	64109	11133	75242
1890-1886	53155	10372	63527
1895-1891	34542	13997	48539
1901-1896	16532	21264	37796

المصدر:(زقب، 2015، ص421)

وفي إحصاء 1901م كانت الجزائر تضم 420709 نسمة أي 121500 فرنسي ولد في الجزائر و170964 فرنسي أصلي ولد في الجزائر و71113 أجنبي متجنس و57132 إسرائيلي متجنس مقابل 4074089 جزائري رعية فرنسي
(Bouche, 1991، p152).

ومع توافد الإسبان، الإيطاليين، المالطيين فقد العنصر الفرنسي نقاوته وأخذ يكتسب قوته لمقاومة المناخ فيصبح الأطفال والمنحدرين من هذه الاتحادات في الغالب فرنسيين، وبذلك يولد وينمو في هذه الشواطئ الشمالية لإفريقيا نوع هجين من السكان-حسب بعض الملاحظين -حيث نصفهم من دم فرنسي والأخر من السكان مرشح بالولادة ليصبح فرنسياً (Vignon, 1887 p19).

فلأجل تغليب العنصر الفرنسي على غيره صدر في سنة 1846 قانون يسهل للأجانب المقيمين بفرنسا او في الجزائر لمدة اكثر من 10 سنوات عملية التجنيس (سباعي، 2016، ص43) ، و تدعم الامر في 26 جوان 1889م بصدور قانون التجنيس الاوتوماتيكي (التجنيس التلقائي) الذي يشمل أبناء الاجانب المزدادين في الجزائر ، وما

انفكت السلطات الاستعمارية تسير دائبة بلا كلل و لا ملل قصد بلوغ هدفها الثابت وهو: جزائر أوروبية (عباس، 2005، ص94)، فطبقا لهذا القانون يصبح أبناء الأجانب فرنسيين بمجرد ما يتنازلون عن جنسية أباءهم في السنة التي تتبع بلوغهم الرشد، فتبقى فرنسا دائما مجهولة لديهم في غالب الأحيان فهم لا يعتبرون أنفسهم إسبان أو إيطاليين أو فرنسيين بل جزائريين فقانون 1889 بتعبير أجيرون هو شهادة ميلاد الشعب الأوربي بالجزائر وشكل عودة قانون الأرض jus soli (سباعي، 2016، ص45)

وأخذت الموازين تتغير وفق هذا القانون فبعد أن كان في الجزائر نحو 219 ألف فرنسي و211 ألف أجنبي سنة 1886م أصبح العدد في 1896م: 318 ألف فرنسي (منهم 50 ألف مجنس) و212 ألف أجنبي ومنذ 1896م أخذ عدد الأوروبيين المولدون في الجزائر الصدارة على المهاجرين(Stora,1996. p32) بعد ان أصبح الحصول على الجنسية الفرنسية للعنصر الأوروبي متاح في ثلاث أوجه

- قانون الدم Jus sanguinis الحق في الجنسية تكون بموجب القانون لكل من كان - أحد والديه فرنسيا حتى لو ولد في الخارج وكانت له جنسية أخرى
- قانون الأرض كل شخص ولد في الإقليم الفرنسي
- قانون الإقامة بالنسبة للأجنبي المقيم بالإقليم الفرنسي بعد تقديم طلب ودراسته (سباعي،2016، ص46)

وفي هذا الصدد يقول دانيال لوكونت في كتابه (الاقدام السوداء)» بين الجنوبيين الفرنسيين الذين لفظهم عصر الصناعة والمهاجرين من حوض المتوسط، هناك عالم منسجم بدأ يتشكل» ويواصل بعده مارك بارولي قائلا:« ليس جنسا ولا أمة ولكن مجتمعا له قيمه الخاصة وأذواقه المشتركة وهذا يكفي لفردنته »(يحياوي، 2010، ص161) وأصبح الأوربيون في الجزائر يتغنون بتميزهم عن من هم في اروبا.

وفي سنة 1911م وضح الاحصاء أن من 746000 أوربي يعيشون في الجزائر 480000 ولدوا بها، 113000 ولدوا بفرنسا و153000في بلدان أوروبية أخرى(Kateb, 2001, p 172).

ولفهم ذهنية الأقدام السوداء فإن مصدر دراستها نجده في الصحافة الشعبية والروايات بـ 4 sous لسلسلة Cagayouz و la Silhouette Antijuif فنظرة الأقدام السوداء للمسلم (المدعو أحيانا العربي أو الأهلي) مشابهة لنظرتهم لليهودي والتي لم تتغير منذ الغزو (Sivan, 1978, p 160.) ؛ كما أن كل مجموعة كانت تحتكر نوعاً معيناً من النشاط، وتستميت في الدفاع عن احتكاراتها ، فالفرنسيون المستقرون في الجزائر وهم في غالبيتهم من المقاطعات الموجودة جنوب خط بوردو- جنيف مع أغلبية من أصول منطقة الميدي وكورسيكا شكلوا أغلبية البورجوازية الحضرية، وقدموا الموظفين اللازمين للإدارة الفرنسية بالجزائر كنوع من احقيتهم بإدارة البلاد.

اما الارياف شكل نشاط الكروم الجزائري خاصة من الفرنسيين والاسبان الذين هم الاكثرية أغلبهم من المناطق البحرية المتوسطية حيث كانوا يفدون من أليكانت وبلنسية ومرسية وكاتالونيا والباليار وبالتالي من أراضي

الجنوب الفقيرة على غرار الايطاليين (يحياوي، 2010، ص160) وهم في كل الجزائر لكن عددهم يتكاثر، أما من الشرق إلى الغرب فالإيطاليون أكثر خاصة في شرق الجزائر حيث جاءوا من صقلية، نابولي، باليرمو وترابانتي وقد احتكروا قطاع الصيد والبقية مالطيون، ألمان، سويسريون وبلجيكيون(Kateb,2001 , p172) الى جانب بعض الروس والبولنديون فالجزائر بما تتمتع به من مناخ متوسطي معتدل في شمالها وامكانيات زراعية ومنجمية أصبحت تمثل فرصة للكسب والاغتناء للباحثين عن حياة رغيدة مفقودة في اوطانهم .

2.I-موقف المستوطنين من مرسوم كريميو 1870م

لقد وجد هذا خليط الاجناس الأوروبية في الجزائر فرص العيش التي كان يبحث عنها وليس مستعداً أن يتعرض لمنافسة من طرف الاهالي مهما كانوا فما دام المستعمر (يعرف مكانه) فالعلاقة حسنة لكن عندما يبدأ السلم الاجتماعي في الفقفقة يصبح المستعمر يشعر أنه ليس على ما يرام وحتى قلق، وفي هذا المنظور فإن قرار كريميو كسر هذا السلم(Sivan. 1978, p165)، فالخوف من الأهلي عموما تحول إلي الخوف من اليهودي - هذا الأهلي الذي قفز من مكانه الطبيعي- فالمهاجرون الجدد بحكم وجودهم في أسفل السلم الاقتصادي كانوا معرضين للمنافسة من طرف اليهود (Sivan. 1978, p166) ، في ظل تزايد عدد اليهود والذي مثل مصدر قلق للأوربيين وخاصة مع تنامي ثرواتهم التي كانت محل طمع من أعدائهم ومحل بحث عن أسباب الاغتناء حتى كانوا ينافسون الدول التي يعيشون في ظلها، وقد لخص كتاب إميل روجيه Emile Roger بعنوان ضرورة مراجعة مرسوم كريميو« Nécessité de réviser le décret Crémieux » بعض أسباب هيجان المستوطنين ضد اليهود فقدم ثلاثة عوامل لمطلبه الاول سياسي ما يسمى بشراء الانتخاب اليهودي والثاني اقتصادي الربا والاخير ديني وأخلاقي وهي الادماج الحتمي للعادات(Renucci, 2010, p107 ؛ حيث أن الربا يعد من أسباب توتر العلاقة بين اليهود والمستوطنين، وقد وصفها بعض المتطرفين الاشتراكيين الماركسيين كالمحامي الشاب سورين بالقول « إن الانتهازية إن أمكن أن نقول هي الشكل السياسي للروح اليهودية (Del Pard. 2002, p34).

وازداد مقت وازدراء المستوطنون لليهود مع حلول الازمات الاقتصادية التي مست القطاع الزراعي خاصة بعد كساد محاصيل الكروم واصابة أصحابها بالإفلاس وأمام هذه الحالة اضطروا إلى الاستدانة وقد كان المرابون اليهود في الموعد، فشاع في الجزائر ان اليهود قد بالغوا في اخذ الربا على حسابهم ولاسيما أيام المجاعات والنكبات، فهم يقرضون المحتاجين ثم يأخذون منهم أضعاف ما أقرضوه (سعد الله، 1998 ص33).

أما في الجانب السياسي فرغم أن يهود الجزائر لم يشكلوا خطراً سياسيا على التوازن بين الأوروبيين ولكنهم كانوا يلعبون ورقتهم كحزب مرجح في الانتخابات في مختلف المستويات وبذلك يصبحون قوة كبيرة (سعد الله، 1998، ص388)

ففي عرض الأسباب 22 جويليه 1871م كان عدد السكان الفرنسيين في وهران 8958 نسمة مقابل 5653 يهودي، وفي قسنطينة 7887 فرنسي مقابل 4396 يهودي، في تلمسان 3264 فرنسي مقابل3185 يهودي، وعليه

يبدو أن الأصوات متقاربة وقد لا تحتوي المجالس البلدية إلا على يهود حسب ميني (Meynie, 1888، p110) وهذا ما يوحي ان المستفيد الأول من استعمار الجزائر هم اليهود الذين ارتقوا في السلم الاجتماعي الى أعلاه وأصبحوا بالتجنيس بالتساوي مع الفرنسيين في حقوق المواطنة وأرقى من الأوربيين الغير مجنسين اما المسلمين فهم على الهامش.

3.I-موجة معاداة اليهود 1898م

امام اختلال التوازن الغير متوقع من طرف الأوربيين لصالح اليهود انتقل المستوطنون المتطرفون من التنديد بممارسات اليهود إلى إنشاء الرابطات المعادية لهم، وقد لعبت هذه الرابطات دوراً في تعبئة المستوطنين لحملات المقاطعة للمتاجر والمحلات اليهودية، ومثلت إطاراً جمعوياً لتأطير النزعة المعادية لليهود وتوجيهها بالموازاة مع الحملات الصحفية، وقد تطور هذا الكره المتبادل إلى مواجهات بين الطرفين في الشارع وهو ما أصبح ينذر بالخطر وعُد منزلقاً خطيراً في العلاقة بين اليهود والمستوطنين؛ عبرت بصدق عن مدى حجم الكبت ونوع المشاعر التي كانوا يشعرون بها تجاه غرمائهم؛ فهم يتصرفون كالمتصرف في بيته و لا يريد أن يشاركه أحد فيما استولى هو عليه و اغتصبه، فمن يسرق يخاف أن يسرق منه ما سرقه وهو شعور المستوطنين؛ عدم أمان دائم وشك مستمر في الغير سواء أكان مسلماً أو يهودياً فهم لم ينسوا أنه كان إلى 1870م أهلياً في نظر القانون، وقد وجد المستوطنون المعادون لليهود في أحداث الشغب فرصة للتنفيس عن الغضب فالمظاهرات الأولى وصفت أنها كانت فجائية وعفوية« كأن صرخة كانت في صدور الفرنسيين تحتويها منذ زمن طويل» (Meynie., 1888,p212) .

وقد ازدادت الشعارات والعبارات الحماسية قوة لدى أعداء اليهود ومنها:« الفرنسي هو قوي بما فيه كفاية لخوض المعركة المفتوحة لا يجب أن يرتعش أحفاذ هؤلاء الرجال الذين زلزلوا أوروبا في عهد الإمبراطورية الأولى أمام حفنة من اليهود يحاربون فارين بسرعة عندما يبصرون المطرقة» (Meynie, 1888, p13) وهي دعوة صريحة لاستعمال العنف.

وقد رأى الكولون أن حماس الانتخابات يمكن أن يوجه ضد اليهود كموضوع حملة انتخابية مصحوبة باعتزاز قومي، وبذلك حددوا الهدف والوسيلة فالهدف المعلن نجده في عبارة:« يسقط اليهود هذا هو هدف حملتنا ضد اليهود ونحن مقتنعون بأن الانتخابات 1889م ستبين لأكثر المشككين بأن المنتخبين لا يريدون أبدا اليهود العدو الأكثر خطورة لفرنسا الجزائر لن تكون أبدا الأرض الموعودة لهم» (Meynie,1888, p14) حسب صاحب كتاب (الجزائر اليهودية) وذلك كنوع من التحدي

وتطورت العداوة إلى اتخاذ إجراءات رسمية معادية لأول مرة وإن كانت من أدنى هيئات الدولة، ففي16 ماي 1897م تجمع اعضاء في بلدية جديدة انتخبت في وهران حول برنامج ضد السامية وأدان المجلس في أول اجتماع له قرار كريميو وعين لجنة لاتخاذ قرارات ضد العمال البلديين اليهود ففصلوا وعوضوا بإسبان متجنسين، كما

أغلق سوق أوسترليتز- اغلب تجاره من اليهود- حيث الأسعار منخفضة، بحجة المنافسة غير الشريفة غير أنه أعيد فتحه رغم الحظر (Laloum , 1987, p 97) لأن الامر كان في مصلحة الجميع.

وانفجرت في الجزائر أحداث أكثر خطورة في سنة 1898، وبتأثير الصحافة دائما والتي كان لها دور كبير في الحملة، فوقعت خسائر للمعبد في ساحة راندون Randon وباب الواد وحْمل الكونزستوار اليهودي المسؤولية للبلدية التي دفعت تعويضاً قيمته 5332 فرنك

وفي هذا الوضع أخذت تبرز شخصيات تتزعم التحريض والاستفزاز على غرار الشاب المتجنس Maximiliano Regis الذي قاد في الجزائر المظاهرات ضد اليهود، حيث نهبت المخازن اليهودية وطال زمن الاضطرابات، وكانت مطية لنجاح 3 نواب معادين لليهود في الانتخابات (Esquer,1957, p 50)حيث أن الامر تحول لبرنامج انتخابي، سبق الفرنسيون في الجزائر ما قام به الالمان النازيون عند تسلمهم الحكم سنة 1933 في المانيا بعقود.

وغزت جماعات مشاغبة مصحوبين بنساء وأحيانا حتى بأطفال شوارع باب عزون وباب الواد تقوم بالتحطيم والنهب، (Hebey, 1996, p 126) وتعبر عن غضبها من اليهود وتبع ذلك نزول الشباب إلى ساحة السلطة وصولا إلى باب الواد ينشدون النشيد الوطني ويصرخون يسقط اليهود. (Meynie,1888 p 128)

وتواصلت المظاهرات من 20 الى 25 يناير حيث أصبحت الجموع هي سيدة الشوارع وشوهد الإخوة رجيس عدة مرات يشجعون الجموع لمواصلة (الرازية) وهم لا يفعلون إلا إتباع توجيهات جريدة l'Anti Juif (Hebey,1996, p126) التي كان يصدرها ماكس رجيس، إلى جانب la lutte Anti Juif والتي هاجمت تعيين الحاكم العام الجديد lepine محافظ الشرطة السابق (, La lutte Anti Juif, 1898) منذ تنصيبه فجعلته هدفاً لهجماتها، وحتى الحاكم العام laferriere لم يسلم من هجمات المستوطنين وقد أطلقوا عليه صفات مهينة في اغنية معادية لليهود حيث وصف بالضعف وأن شعب الجزائر سيعرف كيف يقتلعه.(La Révolte anti-juive, 1899)

وفي خضم الأحداث التي أخذت تتسم بالعنف والاشتباكات بين الطرفين سقط ضحايا منهم شاب يهودي Leon kalifa ليون خليفة الذي قتل من طرف الجيش الفرنسي بينما كان ينزع ملصقة ضد اليهود في قسنطينة، (Del Pard. 2002, p35) بعد ان انتظم اليهود وخاصة الشباب منهم للدفاع فأثارت هذه المقاومة المعتدين عليهم و اعتبروها استفزازا غير مقبول فكانت الحصيلة: قتيلان من اليهود ومئات الجرحى و 138 محل تجاري منهوب تحت أعين السكان وإن لم يشاركوا في التحطيم فقد بقوا متفرجين ولم تتدخل الشرطة من جانبها (Hebey, 1996, p 129) ، كما اتخذت إجراءات معادية في البلديات التي يسيطر عليها المعادون لليهود على غرار قرار منع المستشفيات من قبول مرضى أو جرحى يهود الذي اتخذ من طرف إميل مورينو Emile Morinaud رئيس بلدية قسنطينة

أما في وهران فكتبت جريدة Le Réveil Algérien « الجزائر مصممة على الثورة... الجزائر قادرة على طلب تحررها من أجل التخلص بنفسها من المجتمع الحقير الذي فرضته عليها أمها، نحن مصممون على كل شيء »، وفي خضم كل ذلك يصرح ماكس رجيس : « سنسقي بالدم اليهودي لو تطلب الأمر شجرة حريتنا » وهي العبارة التي كلفته المتابعة والسجن على إثر ذلك، (Del Pard. 2002, p33) غير انه لم يكن من مصلحة فرنسا الحاكمة تأجيج المزيد من الاضطرابات في المستعمرة (بالموازاة مع حملة كبيرة شنتها الصحف المتعاطفة مع رجيس وعلى رأسها صحيفته l'Antijuif Algérien التي كانت تخصص عموداً ثابتاً بعنوان « متى سيطلق سراح ماكس رجيس » تطمئن المتعاطفين معه عن حالته في السجن (L Antijuif Algérien, 1898)

فأطلق سراحه من محكمة العقوبات ثم محكمة الاستئناف وطبعا فقد انتصرت الشعبية على القضاء، (Del Pard. 2002, p33) وقد لقي قرار محكمة غرونوبل استحسان المعادين لليهود حيث اعتبروا أنه لايزال في فرنسا أناس فرنسيون.

(La Révolte anti-juive,1899)

4.I-تعامل فرنسا مع الظاهرة والاستجابة لمطالب الكولون

لقد كانت أزمة معاداة اليهود في الحقيقة ثورة ضائعة حيث وان كان هناك أعمال ضد اليهود لكن العداوة ضد الوطن الأم وحكم الجزائر مستقلة هما ما يفسران خطورة الأحداث

(Ageron.histoire de l'Algérie contemporaine 1830 –1976, 1977 p 53)

فقد بدأت كل طائفة صراع قوة ضد باريس وأظهرت الرغبة في الانفصال عن فرنسا دون أن يكون استقلال كامل مقطوع فالكثير منهم يشعر بالارتباط بالوطن الأم بنوع من العقد أين هم الوحيدين الذين يحددون بنوده لها، وإذا ما وضعت مهمة الدفاع عنهم وإبقاء نفوذهم الاجتماعي على المسلمين محل شك فسيعلن الشعب الأوربي في الجزائر استقلاله فتعلق الأمر بجزائر حرة مستقلة ذاتيا على الصعيد الإداري الجمركي والمالي un Eural-gerie مدارة من طرف شعب أوربي (Del Pard. 2002, p53) فحدود العلاقة بين الجزائر وفرنسا يجب ان يحددها المستوطنون وحدهم وليس غيرهم

ولم يكن هذا الفكر الانفصالي وليد تبعات مرسوم كريميو وانما تزامن معه لتزامن هذا الأخير مع انهار النظام الامبراطوري في فرنسا فقد فرح المستوطنون لسقوط الإمبراطورية في 1870 فراحوا يتخلصون من ممثلي السلطة العسكرية الذين اعتبروهم حماة العنصر الوطني فطردوا الحاكم العسكري استرهازي ودلت بعض تصرفاتهم على وجود فكرة الاستقلال الذاتي ان لم يكن الانفصال عن فرنسا او طلب الحماية من بريطانيا او الولايات المتحدة الامريكية اذا عجزت فرنسا عن صد الغزو البروسي المحتمل، ثم عمدوا الى تأليف مجلس دفاع وطني واختاروا احدهم وهو فليرموز لتولي السلطة العليا للبلاد بيد أن هذا الاتجاه الانفصالي لم يدم طويلا

بسبب وقوع ثورة المقراني 1871 فشعر المستوطنين بحاجتهم الى مساندة فرنسا (العقاد، 1993، ص145) الوطن الام الذي يحتمون به .

وقد كثرت التقارير حول الجزائر وطرق التعامل معها استجابة لمشاغل الكولون و أصبح جول فيري مهتم مباشرة بالمسائل الجزائرية بعد سفر خاص للجزائر في 1887 فطلب تشكيل لجنة تحقيق كبرى على الطريقة الأنكليزية ليحدد الإصلاحات الضرورية في مواجهة (الأزمة الجزائرية) وحصل على مطلبه (Ageron.l'Algérie Algérienne de Napoleon3 a De gaule, 1980 p73) فقرر المجلس القيام بتحقيق واسع في الجزائر فكان تقرير جول فيري المنشور في 1892 له وقع في البرلمان حيث حرر باسم لجنة مجلس الشيوخ لدراسة مسائل جزائرية والتي ترأسها فيري منذ 17 مارس 1891 شكلت بعد الاتهامات المعلنة للإدارة الجزائرية من مقرري ميزانية الجزائر .(Ageron.l'Algérie Algérienne de Napoleon3 a De gaule, , 1980 p73)واستمعت لجنة التحقيق هذه والمؤلفة من 18 من الشيوخ برئاسة فيري الى العديد من الشهادات وخلصت بما يشبه الاجماع الى استنكار الأساليب المتبعة في المستعمرة وعبر جول فيري بعبارات جارحة عن أسفه لمساؤى الدمج الإداري وسياسة طرد العرب والحراسات وقسوة نظام الحراج وعقلية الاحتكار ونزعة فرنسيي الجزائر المتشبثين بأرائهم وأدان عقلية المستوطن إزاء الشعب المغلوب ((فمن الصعب إفهام المستوطن أن في البلد العربي حقوقا غير حقوقه وأن ابن البلاد عرقا من البشر خاضعا للاستغلال والسخرة بلا رحمة)) وجاء ببرنامج إصلاحي لخصه بكلمات ((لا يجوز ان تسلم في أية درجة مصالح شعب البلاد للعنصر الأوروبي)) وخلاصة القول فقد طالب بأن تستعيد فرنسا دورها كحكم في هذا البلد، (أجيرون، 1982،ص84) وبالتالي خلص الى حقيقة ان الأمور ستنفلت من الإدارة الفرنسية ان لم يتم تدارك الوضع، فنظريات المستوطنين كانت تخضع للمصالح كما لاحظ جونار في التقرير الذي رفعه عن ميزانية 1893 إنهم ما أن تحصلوا على الحريات والضمانات الإدارية التي ما انفكوا يطالبون بها حتى راحوا يطلبون ميزانية خاصة وأكثر من ذلك نوع من البرلمان المحلي، فلم يكن كولون الفرنسي بالجزائر فكر سياسي أبدا فهو يصبح ضد البايلك Beylik متى ظهر له مس بامتيازاته (جوليان، 1976، ص43).

فقد أوضح رجيس يوم 25 ديسمبر 1898 ذلك بقوله (لقد أردت وضع نفسي على رأس استقلال الجزائر) وأوضحت صحيفة السريع الجزائري في عددها الصادر يوم 7 جوان 1899 إن الصحافة المعادية لليهود كانت تتكلم عن (إعادة حرب الاستقلال الكوبية).

وبعد هدوء الفتنة أدرك الحاكم العام لافوريير ضرورة إدخال إصلاحات المندوبيات، إعادة تشكيل المجلس الأعلى، الميزانية الخاصة (عباد، 1999، ص149) فبفضل ضغوط برلمانية ومالية خرج الكولون منتصرين من المعركة ورأوا حلمهم يتحقق بمرسوم 13 أغسطس 1898 الذي يمنح الحاكم العام كل السلطات على الشؤون العسكرية والمدنية بما فيها التعليم والقضاء يليه في ذلك مجلس استشاري (المجلس الأعلى للحكومة) (Saad Allah. 1963, p 17) فحققوا نوع من الاستقلال الاداري.

وعليه فالتخلص من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للمستوطنين يكمن في التخلص من النفوذ اليهودي وللتخلص من هذا النفوذ يقتضي التخلص من السيطرة الإدارية والسياسية الفرنسية لهذه السبب كانت معاداة اليهود والاستقلال الذاتي مرتبطين ببعضهما. (عباد، 1999، ص143)

وباستجابة السلطات لهذه المطالب أفقدوا المعادين لليهود وقود حملاتهم ففشل الفرسان المعادون لليهود في انتخابات 27 أفريل حيث فشل دريمون أمام كولين الجمهوري (المعتدل) بـ 8692 صوت مقابل 9601 وكذلك مورينو كما أرسلت فرنسا حاكما عاما قادرا على إخماد الاضطرابات اللايهودية بتلبية مطالب المستوطنين وهو جونار.(عباد، 1999، ص151)

وعموما يمكن القول إن النضال ضد اليهود في الجزائر كان تعبيرا عن رفض سياسة فرنسا والرأسمالية من طرف المستوطنين وخاصة الصغار منهم فهذه الظاهرة توضح كيف أن الرأسمالية الأوربية والطبقة الوسطى خاصة حولت النضال المعادي للاحتكار والهيمنة الرأسمالية إلى نضال عرقي لا تمت بصلة إلى الإيديولوجية إلا من حيث إلصاق ممارسات وسلوكيات اقتصادية بعرق معين. واستطاعت أن تلقي بمسؤولية خراب المستوطنين الصغار على الربا اليهودي وحده في هذه الظروف نشاء التيار الاشتراكي المعادي لليهود أسسه بادئ الأمر فيرناند غريغوار سنة 1892 لكن التيار المعادي لليهود يحمل في طياته ميولات استقلالية أيضا وكأنه يلقي بالمسئولية على فرنسا التي منحت اليهود جنسيتها، (عباد، 1999، ص 142) فالميز العنصري دخل في عوائد الأوروبي وامتزج بدمه ولحمه حتى أصبح طبيعة ثانية له (عباس، 2005، ص119)

وفي ديسمبر 1899 وافق الجهاز التشريعي المادة الأولى ((تمنح الجزائر الشخصية المدنية)) (عباد، 1999، ص156) ومن جهة أخرى أعيد المجلس الأعلى للجزائر تنظيم ودعم بمنتخبين أصبحوا حائزين على الأغلبية في هذا التنظيم الذي له المراقبة الإدارية. (Ageron.histoire de l'Algérie contemporaine 1830 – 1976 p54,)

أما المندوبيات المالية المشكلة من أعضاء منتخبين فإن انتخابها لم يكن لها على أساس الافراد كقاعدة كما هو الحال في فرنسا، وإنما على أساس مصالح المجموعات العرقية المختلفة والمنتخبين موزعين على أربعة أقسام: معمرين، غير معمرين، عرب، قبائل، في أربعة مستويات يجتمعون على حدى للمناقشة وتجتمع فقط لتفحص القرارات المتبناة،

(Albertini,1937,p286) وبهذا نلاحظ أن فرنسا تكرر في الجزائر ما ثار عليه الفرنسيون أنفسهم في باريس ذات يوم من سنة 1789 أي نظام مجلس الطبقات الثلاثة.

وقد كان دورهم محدود في البداية لكنه أصبح أكثر أهمية منذ منح الميزانية الخاصة والاستقلالية المالية للجزائر في 1900، فأصبحوا يدرسون ويناقشون الميزانية المحضرة من طرف الحاكم العام ويمكنهم طرح رغبات حول كل المسائل المالية والاقتصادية والميزانية المصادق عليها من المندوبيات ترفع إلى المجلس الأعلى المكون من رؤساء المصالح. (Albertini,1937,p286)

وهكذا نرى أن الاستقلال المالي للجزائر لا يعني إلا وضع الميزانية و الاقتصاد الجزائري بين أيدي المستوطنين يتداولون على الميزانية في المندوبيات والمجلس الأعلى ويعمل نوابهم في البرلمان من أجلها أيضا، بينما كانت سياسة ادماج قد حولت الجزائر تدريجيا إلى (جمهورية فرنسية صغيرة) لكن في المصلحة الخاصة للكولون و 210 ألف فرنسي أو مجنس أصبحوا يتملكون على 3ملايين رعية 30 إلى40 ألف نائب يمارسون السلطة في الجزائر بينما 6 نواب و3 سيناتورات يقودون السياسة الجزائرية لفرنسا، ويمثل الكولون أكثر فأكثر الشريحة الأكثر امتياز أما البلديات الكاملة الصلاحيات التي أريد لها أن تكون كبلديات فرنسا هي في الحقيقة أخر تمثيل كاريكاتوري لمنح السلطة لحفنة من المنتخبين الفرنسيين أو المجنسين.(Meyer. 1999, p 626)

فالإقطاعية الاستعمارية جعلت من استقلال الجزائر الداخلي مطلبها الاساسي الرسمي ففي سنة 1920م صرح كوستاف ميرسي رئيس النيابات المالية من أعلى منصة هذه الجمعية عن هذه المشكلة بما يلي« إن ما نطالب به هو حقنا في إدارة شؤوننا بنفسنا وفي تأسيس برلمان مصغر في بلادنا، برلمان يراقبه البرلمان الفرنسي ويكون الوالي العام صلة الوصل بين البرلمان الفرنسي والمجلس الجزائري ويخول لنا هذا المجلس الحق في سن القوانين التي نعتبرها ضرورية لنا والتي تتلاءم ومصالح البلاد نحن أدرى من غيرنا بمقتضياتها وحاجياتها » ، إن هذه العبارات رغم تحفظاتها واحترازاتها تنم عن فكرة واحدة وهي الانفصال عن فرنسا.(عباس، 2005، ص 120)

II- خاتمة

من خلال ما سبق استعراضه نخلص الى جملة من النتائج لعل ابرزها هي تكون مجتمع أوروبي هجين على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط بسبب سعي فرنسا بكل الوسائل الى تغليب العنصر الاروبي على سكان البلاد، لكن الامر تحول الى مشكل حيث كادت تفقد السيطرة على الوضع بعد ان اصبح الأوربيين من غير الفرنسيين يشكلون نسبة معتبرة، فلجئت الى اصدار قوانين واتخاذ إجراءات أخرى لتحجيم المشكل كتجنيس يهود البلاد والمواليد الجدد الخاصة بعد تنامي نزعة انفصالية لدى هذا الخليط البشري، والتي اتخذت من معاداة اليهود الأهالي شكلا للتعبير عن ارادتها ووزنها السياسي.

وقد اضطرت حكومة باريس الى اتخاذ إجراءات لترضية هذا الكيان الضاغط على توجهاتها السياسية في الجزائر بمنحه بعض الاستقلالية في تسيير الأمور المالية وتقرير الميزانية والمشاركة في تقرير سياسة ومخططات نهب ثروات البلاد واستغلال سكانها، غير ان الاحداث اللاحقة اثبتت ان هذا الكيان البشري لم يكن فرنسي الا بما تتوافق به مصالحه وهو ما برز خلال عهد حكومة فيشي ثم خلال الثورة الجزائرية حيث ساند غلاة الجنرالات ضد ارادة باريس في أكثر من مناسبة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع

1 -أجيرون، شارل روبير. (1982) . *تاريخ الجزائر المعاصرة*. (عيسى عصفور، ترجمة، طبعة 1) بيروت باريس: منشورات عويدات

2 -بن داهة، عدة. (2008) . *الاستيطان والصراع حول ملكية الارض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 . 1962*. ج1. منشورات وزارة المجاهدين .

3 -بوعزيز، يحي. (1978) . *ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد*. الجزائر: سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

4 -جوليان، شارل أندري. (1976) . *إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية*. (المنجي سليم وآخرون ترجمة). الجزائر: الدار التونسية للنشر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

5 -جوليان، شارل أندري. (2008). *تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبدايات الاستعمار 1827 -1871*. مج الأول. (ط 1). . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. (1984)

6 -سعد الله، أبو القاسم. (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي1830 .1954*. جزء 8 (ط1). دار الغرب الإسلامي

7 -عباد، صالح. (1999). *الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830 .1930*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية

8 -العقاد، صلاح. (1993). *المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى*. (ط6). مكتبة الانقلو المصرية

9 – عباس، فرحات. (2005). *ليل الاستعمار*. (تر أبو بكر رحال). منشورات ANEP

10 -يحياوي مرابط، مسعودة. (2010). *المجتمع المسلم والجماعات الاوربية في جزائر القرن العشرين حقائق وايديولوجيات وأساطيرونمطيات*. (تر محمد المعراجي). سلسلة المترجمات.مج 1.الجزائر: دار هومة

مذكرات جامعية

1 -زقب، عثمان. (2015). السياسة الفرنسية في الجزائر 1830 – 1914 (دراسة في أساليب السياسة الإدارية). دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة الحاج لخضر. باتنة

2 -سباعي، سيدي عبد القادر. (2016). مسألة الادماج في السياسة الكولونيالية الفرنسية 1870-1940 ((الجزائر انموذجا)). أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان

مصادر باللغة الفرنسية

11- Albertini , Eugène, Marçais Georges,Yver Georges. (1937) **L'Afrique du nord Français dans l'histoire.** Lyon : éditions Archat

2-Esquer, Gabriel. (1957), **Histoire de l'Algérie 1830 1957**. Paris. Presses universitaires de France

3-Houdas, O. (1886). **Ethnographie de l'Algérie.** Paris : Maisonneuve frères et Leclerc édition

4-Meynie, Georges, (1888), **les Juifs en Algérie**, .Paris: nouvelle libraire Parisienne 5-Vignon, Louis. (1887). **la France dans l'Afrique du nord Algérie et Tunisie.** Paris : libraire Guillaumin et Cir

مراجع باللغة الفرنسية

1-Ageron, ch. Robert. (1977). **Histoire de l'Algérie contemporaine 1830 – 1976.** Presse universitaires de France. 6 em édition,

2-Ageron, ch. Robert. (1980). **l'Algérie Algérienne de Napoleon3 a De gaule.** Paris : la bibliothèque arabe sindabad.

3-Bouche, Denise. (1991). **Histoire de la colonisation Français** tome second 1815 – 1962. Libraire Arthème Fayard

4-Del Pard, Raphaël. (2002). **l'histoire des Pieds Noirs d'Algérie 1830-1962** .Michel lafon.

5-Hebey, Pierre. (1996). **Alger 1898 la grand vague antijuive**. Paris : Nil éditions

6-Kateb, Kamel. (2001). **Européens ((indigènes)) et Juifs en Algérie 1830—1962 représentations et réalités des populations**. L'institut national d'études démographiques.
7-Laloum, Jean. (1987). **les Juifs d'Algérie images et textes**. Paris : éditions du scribe
8-Mayer, René. (1999). **Algérie Mémoire déracine**. L'Harmattan
Saad Allah, Aboul – kassem. (1963), **la montée du nationalisme en Algérie**. (Nevine Fawzy – Hemiry ,Trans).Alger: entreprise nationale du livre،
9-Stora, Benjamin. (1996). **histoire de l'Algérie coloniale 1830 – 1954.** Alger. ENAL – Rahma

دوريات

1 – Lacoste، Yves. (1957).**l'Afrique du nord.** Lyon : les documents EDSCO (4).2.France

Colloques

1- Renucci, Florence. (2010). *Le débat sur le statut politique des Israelites en Algérie et ses acteurs (1870- 1943)*. Contributions du séminaire sur les administrations coloniales». France. IHTP
2- Sivan, Emmanuel. (1978). *Stéréotypes antijuifs dans la mentalité Pied- noir*. Colloque les relations entre juifs et musulmans en Afrique du nord 19-20 siècles. Paris. Editions du centre national de la recherche scientifique

جرائد وصحف Périodiques

- La lutte Anti Juif. (1898, 2,4)
- L Antijuif Algérien. (1898, 5,27). N 52
- L Antijuif Algérien. (1998, 5,20). Série b n 49
- La Révolte anti-juive. (1899, 5,15). N 01